جوليوسنيريري..ثورة دستورية من أجل التحرير والوحدة

أ/بوسليماني عبد الرحمان
جامعة سعد دحلب 2 - البليدة

- تمهيد :

الإشكالية التي يثيرها هذا البحث، تتمثل في تحليل فلسفة جوليوس نيريري النضالية من خلال قيادته للحركة الوطنية منفردا في بلاده، ومجابهة اعنف استعمار استيطاني المشروع وعنصري المحتوى والممارسة، وذلك من خلال التعرض إلى نشأته وأهم المؤثرات في شخصيته،وتأسيسه لحزب الاتحاد الوطني الإفريقي لتنجانيقا (TANU) الذي تمتع بالشعبية الكبيرة في تنجانيقا (جمهورية تنزانيا المتحدة حاليا)، كما يشمل الأفكار السياسية التي آمن بها نيرير يمثل الاشتراكية الديمقراطية ثم طبيعة العلاقة التي كانت تربط بينه وبين الإدارة الاستعمارية البريطانية لتنجانيقا وموقف طوائف الشعب من أفكار وطموحاته السياسية وأهما لمناصب التي تولاها وجهوده الوطنية حتى حصول تنجانيقا على الاستقلال في عام 1961، وتحقيقه للوحدة السياسية مع جزيرة زنجبار بعد استقلالها عن بريطانيا عام 1963، ودمجهما في بلد واحد يحمل اسم جمهورية تنزانيا المتحدة في أفريل عام 1964. أملا أن يجد القارئ في هذا المقال تحليلا كافيا لمدى تأثير فلسفة نيريري في النضال الوطنيوالتنمية الشعبية في تنزانيا وقارته إفريقيا. وذلك من خلال المحاور التالية :

- المحور الأول: مولده ونشأته

ولد الرئيس نيريري في مارس عام 1922، في قرية بيوتياما بالقرب من محافظة موسوما على الضفاف الشرقية لبحيرة فيكتوريا، وهو ابن رئيس قبيلة صغيرة وفقيرة تدعى زانكي، فعمل راعيا لغنم والده حتى سن الثامنة عندما قرر والده أن يدخله المدرسة الابتدائية. فالتحق بمدرسة موسوما لفترة من الوقت، وفي هذه الفترة جمع بين رعي غنم والده والدراسة[1].

وفي سنة 1937، انتقل إلى مدرسة طابورا الثانوية، فتميز بالفطنة والذكاء وبميوله وحبه وشغفه الشديد للإطلاع على مختلف المعارف والعلوم. وبعد أن أنهى دراسته الثانوية في مدرسة طابورا، وبمساعدة مديرها السيد ويليامز Williams، وأخوه الكبير وانزاقي Wanzagi الذي خلف والده في رئاسة قبيلة زانكي، التحق نيريري في جانفي عام 1943 بجامعة ماكريري كوليدج في أوغندا لإكمال دراسته الجامعية. والأرجح أن هذه الفترة هي التي تعرف فيها للمرة الأولى على زعماء وقادة إفريقيون جاؤوا من شرق إفريقيا البريطانية وخارجها، وأنهم خلال هذه الفترة قد شعروا بروح إفريقية جامعة ولعلها كانت الأساس الذي تلاقى عليه هؤلاء القادة في الدعوة إلى مناهضة الاستعمار الإمبريالي. كما تعرف نيريري على أصدقاء جدد من تنجانيقا، من أبناء رؤساء وزعماء القبائل، مثل عبد الله فوندكيرا Fundikira ابن رئيس قبيلة النيامويزي Nyamwezi، وإبراهيم سابي Sapi حفيد الزعيم ماكواوا Mkwawa سلطان قبائل النغوني، بالإضافة إلى عدد قليل من أبناء فئات الموظفين والمزارعين الإفريقيين أمثال فيد ستكيريزي Kyaruzi.[2] وكان التحول الذي أحدثه نيريري في صفوف الطلبة الإفريقيين بشكل عام والتنجانيقيين بشكل خاص في جامعة ماكريري عند وصوله، تحولاً بعيد الأثر ؛ فقد قاد هؤلاء الطلبة إلى تنظيم أنفسهم في هيئة يمكن أن تكون منظمة سياسية واتحاداً عاماً لطلبة تنجانيقا في آن واحد.

ومع نهاية عام 1945، تحصل نيريري على دبلوم في التربية من جامعة ماكريري كوليدج بأوغندا، وأصبح وطنياً نشيطاً بعد عودته إلى البلاد، وكانت إيديولوجيته تهدف في هذه الفترة إلى النهوض بالوعي السياسي في المدن والمراكز الحضرية، وتحسين التعليم. وعليه، قبل عرض رئيس بعثة كنيسة الآباء البيض بالتدريس في مدرسة سات ماري St Mary College الكاثوليكية في طابورا، فقام بتدريس التاريخ والبيولوجيا بطريقة جيدة، فكانت أفكاره تبهر وتعجب كل الناس، كما كان صارماً ومتواضعاً، ومعلماً ممتازاً، وكان يملك موهبة في ترسيخ العلم في أذهان تلاميذه[3].

وفي شهر ديسمبر سنة 1949، تلقى جوليوس نيريري الحافز على السفر للدراسة في المملكة المتحدة من رئيس بعثة كنيسة الآباء البيض في تنجانيقا، فالتحق بجامعة أدنبرا في اسكتلندا Scotland لتحضير شهادة الدكتوراه.[4] ولا شك أن نيريري من خلال وجوده في بريطانيا استطاع أن يوسع آفاقه، فتنامي في نفسه الوعي بكيان الجنس الأسود، بحيث لم تعد تشغل باله قضية بلاده فحسب، وإنما مصير السود كله خصوصا وأنه وجد اهتماماً حياً بالمواضيع الاستعمارية وبالشؤون الإفريقية بوجه خاص، كما جرت دراساته وعمله في اتصال وثيق مع عدد من الطلبة السود، الذين قَدِموا من جنوب وغرب ووسط إفريقيا، فاستطاع من خلال هؤلاء الطلبة، أن يتعرف على القلاقل العنصرية التي تعم جنوب ووسط القارة الإفريقية[5].

وفي بريطانيا أثارت دراسته والإقامة فيها فترة من الوقت اهتمامه بالاشتراكية الفابية الانجليزية (اشتراكية حزب العمال البريطاني) وشغلت المحور الأساسي في تفكيره، وتأثر كذلك - والى حد كبير- بأفكار الزعيم الهندي ألمهاتما غاندي، وخاصة تعاليمه في التصدي للاستعمار بالمقاومة السلبية واللاعنف (النضال السياسي السلمي) وهكذا امتزجت الفابية والغاندية برؤى وأحلام الشاب الإفريقي لتشكل معاً الموقف الفكري والإيديولوجي لسياسته، ولتكون دليله النظري لتحقيق أحلام الفردوس الإفريقي في شرق إفريقيا.[6] وقد تبلور هذا الموقف الفكري عند نيريري فيما بعد في ما عرف بنظرية (الأوجاما) وهي الاشتراكية على الطريقة الإفريقية المرتكزة على القرى الجماعية والاعتماد على الذات في التنمية.

وفي جويلية عام 1952، تحصل نيريري على درجة دكتوراه في التاريخ من جامعة أدنبرا، ليصبح الطالب الإفريقي الأول من شرق إفريقيا الذي يتحصل على هذه الدرجة العلمية من جامعة بريطانية. وكان نيريري قبل رحيله من بريطانيا قد أصبح مقتنعاً برسالته السياسية، فأعد نفسه فكرياً وعاطفياً لمهمة تنظيم وتزعم شعبه نحو الاعتماد على النفس، مما جعل هدفه النهائي حكم الشعب

بنفسه. وفي شهر فيفري 1953، بعد أن أتم ترتيباته العائلية، عمل بالتدريس في كلية فرانسيس Francis College التي تتبع الكنيسة الكاثوليكية في مدينة بيغوPugu القريبة من العاصمة دار السلام براتب سنوي قدره 450 جنيه إسترليني، فعمل بتفان وإخلاص، وجاهد من أجل محو الأمية التي كانت نسبتها عالية بين مواطنيه، وقد اتسم بخصال الهدوء والصبر في سبيل تأدية رسالته التعليمية على أكمل وجه.[7] وظل يعمل بالتدريس حتى منتصف عام 1954حين استقال من منصبه ليتفرغ للعمل السياسي، وهو أول رئيس لجمهورية تنجانيقا بعد استقلالها عن بريطانيا عام 1961، ثم أصبح أول رئيس لجمهورية تنزانيا المتحدة بعد الاتحاد مع جزيرة زنجبار في أفريل عام 1964، واستمر في منصبه كرئيس للجمهورية إلى غاية عام 1985، حيث تنحى عن السلطة طواعية وبإرادته. ورغم اعتزاله الحكم ظل يسيطر على العقل الجماعي للتنزانيين ولأهالي شرق إفريقيا مدة 15 سنة أخرى تلت ابتعاده عن السياسة حتى وفاته في أكتوبر 1999.

- المحور الثاني: تاريخه السياسي

في بداية الثلاثينات من القرن العشرين أسس مجموعة من الضباط الاستعماريين وبعض الموظفين الحكوميين الأفارقة جمعية في تنجانيقا سميت بالجمعية الإفريقية لتنجانيقالا Tanganyika African Association، لكي تكون منتدى للحوار للإفريقيين، والقيام ببعض النشاطات الاجتماعية والنقابية.[8] واهتم نيريري بهذا الأمر وانظم إليها وأسس فرعاً لها في محافظة طابور الواقعة شمال شرق البلاد وصار رئيسه وقد نظر نيريري لهذه الجمعية باعتبارها خطوة في طريق تكوين حزب سياسي حقيقي قادر على تحقيق الثورة التي كان يرجوها في الحياة الوطنية. وفي هذا السياق تحدث- ضمن أمور أخرى - فقال «...كان تصميمي أن أعيد الجمعية الأفريقية لتنجانيقا (TAA) إلى الحياة، وأستعملها كوسيلة لإيقاظ الوعي الوطني لدى إفريقيي تنجانيقا، والكفاح من أجل استقلالهم..»[9]

وكنتيجة لهذا العمل السياسي، سرعان ما تم انتخاب جوليوس نيريري رئيساً للجمعية الإفريقية لتنجانيقا(TAA) في أفريل عام 1953. والجدير بالذكر أن نيريري وبفضل موقعه السياسي كرئيس للجمعية، فضلاً على أنه كان رجلاً سياسياً أصيلاً، وضع نصب أعينه الارتقاء بتلك الجمعية إلى حزب سياسي جماهيري يقوم بتخصيب جذور المجتمع الإفريقي التنجانيقي بأفكاره الوطنية[10].

وسرعان ما وجدت الجمعية الإفريقية نفسها، مدفوعة إلى الاهتمام بمسائل أخرى ؛ مثل تسجيل الأراضي والتصرفات الواردة على ملكيتها والانتفاع بها، الحقوق السياسية، التمثيل العادل في المجالس التشريعية والتنفيذية، تحسين المرافق التعليمية وزيادة عددها، وإلغاء التمييز العنصري، رفع الأجور والمرتبات، تخفيض الضرائب وإعفاء صغار الفلاحين منها، محاربة القبلية ووضع أسس لتكوين شعور مشترك بين أفراد المجتمع التنجانيقي الإفريقي بتوحيد قبائله والقضاء على جميع الميول الانعزالية في أوساط الأفارقة[11].

إن هذه المواقف الجديدة التي تبنتها الجمعية الإفريقية دليل على ظهور جيل جديد من الصفوات المتعلمة خارج صفوة الرئاسات القبلية، التي كانت السلطات الاستعمارية البريطانية قد أنشأتها قبل ذلك بعشرين عاما، كما أن ظهورهم مؤشراً على ضرورة قيام الجيل الحاكم بتسليم السلطة في المجتمع القبلي إلى جيل الشباب الذي سيخلفه.

وفي اليوم السابع من الشهر السابع (7جويلية)[12] سنة 1954، أعلن جوليوسنيريري بصفته رئيساً للجمعية الإفريقية في العاصمة دار السلام عن تحويل الجمعية الإفريقية لتنجانيقا (TAA) إلى حزب الاتحاد الوطني الإفريقي لتنجانيقا Tanganyika African National Union، كأول حزب سياسي في تاريخ البلاد[13] وانتخب جوليوس نيريري بالإجماع كرئيس لحزب الاتحاد الوطني الإفريقي لتنجانيقا (TANU) وهو يبلغ من العمر آنذاك اثنين وثلاثين عاماً. وعليه، سرعان ما تمكن من دمج فروع الجمعية الإفريقية في الحزب الجديد، وأعلن عن تبني سياسة كوامي نكروما[14] Nkrumah في غانا، وهي بناء حزب

سياسي على أنماط أحزاب التذويب؛ بمعنى أنه يمثل تذويب لكل الفروق والخلافات القديمة التي سادت حياة الشعب الإفريقي، وجعلتهم يفقدون الثقة نهائياً في كل النظم والترتيبات التي فرضها الحكم الاستعماري البريطاني[15].

وكان هدف نيريري من وراء تبني هذه السياسة - أي سياسة كوامي نكروما - هو استقطاب ولاء الشعب، وتكوين شعور مشترك بين أفراد المجتمع الإفريقي التنجانيقي لتوحيد قبائله والالتفاف حول الحركة الوطنية. وقد هدف حزبه إلى الدعوة للتحرر السلمي، فاستطاع نيريري استمالة العناصر المثقفة في بلاده، وأصبح ذا تأثير قوي بين الجماهير، كما ركز على ضرورة التخلص من كل أشكال التميز والانعزالية والقبلية في بلاده من أجل تحقيق التكاتف الوطني، والمطالبة بمشاركة مواطنيه في أجهزة الدولة والحكم.[16] وقدم نيريري مشروع دستور للإتحاد (TANU)، وقد تم الاتفاق عليه بالإجماع، ومن أهم مواد هذا الدستور :

- محاربة القبلية وكل الاتجاهات الانعزالية والقضاء على كل أشكال العنصرية والتمييز العنصري.

- تشجيع الحركة النقابية العمالية والتعاونيات الفلاحية وغيرها من المنضمات الجماهيرية والعمل والتنسيق معها.

- رفض دستور عام 1951 القائم على مبدأ التمثيل المتوازن Balanced Representation والمطالبة بتشكيل المجلس التشريعي من ممثلين منتخبين من أجل إيجاد أغلبية إفريقية في جميع أجهزة الحكم، وتحقيق الهدف الرئيسي والأسمى للحزب وهو حكم الشعب الإفريقي نفسه بنفسه.

- المطالبة بإصلاح النظام التعليمي وإقرار تعليم إلزامي للطفل الإفريقي، مع إدخال اللغة السواحيلية[17] كلغة رسمية في المناهج التعليمية إلى جانب اللغة الانجليزية.

- معارضة نقل ملكية الأرض إلى المستوطنين البيض وغيرهم من المهاجرين الأجانب.

كما تمسك نيريري ورفاقه في حزب (TANU) بالانتقادات التي وجهتها بعثة الأمم المتحدة الوافدة من مجلس الوصاية الدولي[18] عام 1954 إلى الإدارة البريطانية، وطالبت حينها هذه البعثة البريطانيين بأن لا يستمر نظام التساوي في المجلس التشريعي لأكثر من خمس سنوات، وتطوير المؤسسات السياسية الحرة في البلاد، واستحثاث الأفارقة على المشاركة فيها، وبمساواة، يضمنها الدستور، بين كل المواطنين بغض النظر عن لون بشرتهم، كما ذَكَّرَتْ البعثة الإدارة البريطانية، بأن تنجانيقا دولة إفريقية وستكون في ظرف عشرين أو خمسة وعشرين سنة تحت حكم حكومة إفريقية أساساً[19].

إن السياسة التي تبناها جوليوس نيريري منذ تأسيسه حزب الاتحاد الوطني الإفريقي لتنجانيقا (TANU) في جويلية عام 1954، تقوم على توحيد كل القبائل الإفريقية في البلاد، وتجسيد الآراء السياسية في تجمع قاعدي مناهض للاستعمار الإمبريالي، الأمر جعل الإدارة الاستعمارية وعلى رأسها الحاكم العام لتنجانيقا السير ادوارد تونينغ Sir Edward Twining (1958/1949) تشعر بالخطر الذي يمكن أن ينتج عن تأييد الجماهير الشعبية إلى الأهداف السياسية التي كان ينادي بها جوليوسنيريري وحزبه، وبالتالي تهديد التواجد الإمبريالي في البلاد. وعليه، تبنى الحاكم العام لتنجانيقا سياسة معادية تجاه حزب(TANU) منذ الأيام الأولى من ظهوره، ووصف جوليوس نيريري عدة مرات بالرجل الخطير، وظل طيلة ثلاث سنوات يعرقل نشاط الحزب باستعمال كل الطرق والأساليب التي تضمن بقاء الوصاية البريطانية على تنجانيقا لفترة أطول.[20] خصوصا إذا ما علمنا أن الحكومة البريطانية أصبحت ترى أن جوليوس نيريري قد أصبح رجل مثير وخطير، وإن لم يتم إيقافه، فقد يصبح نكروما Nkrumah أو نهرو Nehru آخر في شرق إفريقيا، وبالتالي تهديد المصالح البريطانية في المنطقة كلها لا في تنجانيقا وحدها. وعليه، لجأت الإدارة الاستعمارية البريطانية إلى تبني دبلوماسيتها التقليدية، دبلوماسية "فَرِّقْ تَسُدْ" divide and rule، لوقف نشاط هذا الحزب الذي أصبحت قاعدته الجماهيرية

تتسع يوماً بعد يوم، وهذا عن طريق زعزعة النظام الداخلي وإثارة الفتنة بين زعمائه. ففي صيف عام 1955، عرض الحاكم العام لتنجانيقا مِنَح للدراسة في بريطانيا على أعضاء اللجنة المركزيةللحزب كما حدث هذا مع أوسكار كامبونا Kambona السكرتير العام للحزب، وبول بوماني Bomani رئيس فيدرالية اتحاد فيكتوريا التعاوني وعضو اللجنة المركزية للحزب، وبعض رؤساء الفروع النشطة في شمال البلاد. وكانت سياسة الحكومة البريطانية هذه تستهدف إضعاف المكتب السياسي للحزب وتشتيت زعمائه المثقفين، الذين كان الحزب في حاجة ماسة إليهم في هذا الوقت[21] لكن نيريري أصر على مقاومة هذا التيار ودفع الشعب إلى التخلي عن العادات والالتزامات القبلية والى الالتفاف حول أهداف الحزب والحركة الوطنية.

نجح نيريري في توسيع دائرة نشاط حزبه بحيث شملت المناطق والفئات الريفية والعمالية، بعد أن كانت قاعدة الحزب الواسعة تعتمد على سكان المدن، كما استطاع كسب نقابات العمال التي كان ظهورها قد تبلور عام 1955 بفضل جهود النقابي رشيدي كواوا. وقد أعتبر نيريري أن نقابات العمال والتعاونيات الفلاحية هي العمود الفقري للحزب وأكثر قوة منظمة في الحركة الوطنية.[22].

لم يطالب نيريري في بداية رحلته الكفاحية بالاستقلال الآني، مفضلاً إحداث ثورة دستورية تتيح ظهور أجهزة يعبر الشعب من خلالها عن إرادته، وبالتالي تتسع دائرة التمثيل الإفريقي، الأمر الذي اضطر الحاكم العام البريطاني إلى زيادة عدد الأعضاء الأفارقة في المجلس التشريعي، وبالتدريج أخذ نيريري في الدعوة إلى الاعتراف بحق تنجانيقا في الحكم الذاتي والحصول على الاستقلال. وفي اجتماع لمجلس الوصاية الدولي في نيويورك عام 1957، تكلم نيريري عن حاجة تنجانيقا للتطور كدولة إفريقية ديمقراطية وطالب بريطانيا بتحديد موعد لإنهاء الوصاية، مما دفع سلطات الاحتلال إلى القبض عليه وسجنه، فزادت شعبية نيريري بين مواطنيه[23].

ولا شك أن حزب الاتحاد الوطني الإفريقي لتنجانيقا (TANU) برئاسة جوليوس نيريري، قد أصبح حزب جماهيري بدرجة يندر رؤياها في إفريقيا. فقد استطاع أن يجمع جميع طبقات الشعب الإفريقي (الفلاحين والعمالو الحرفيين وملاك الأراضي والمثقفين وموظفي الحكومة) والطوائف الدينية (سواء من المسلمين أو المسيحيين أو الوثنيين) ورؤساء القبائل ضد الاستعمار البريطاني. والواقع أن بعض رؤساء القبائل في هذه الفترة قد اشتركوا بالنفس القدر في السعي للحصول على الاستقلال، كما أن بعضهم قد اُختير لعضوية(TANU) المركزية[24] وبكل بساطة، لم تستطع السلطات الاستعمارية الوقوف أمام الوطنية الإفريقية الجارفة التي اجتاحت كل مدينة وكل قرية وكل كوخ.

وعلى هذا الأساس، حاولت السلطات الاستعمارية البريطانية إثارة الفتنة بين أفراد الشعب في تنجانيقا، فعملت على تأسيس حزب منافس لحزب الاتحاد الوطني الإفريقي لتنجانيقا (TANU) الذي يتزعمه نيريري بعد أن سمحت بالاشتراك فيه لكل الأجناس التي تسكن البلاد.[25] إلا أن نيريري فاجئها بأن فتح أبواب حزبه هو أيضاً أمام جميع الأجناس، وطالب مجلس الوصاية الدولي بأن يُعترف بحزبه كممثل شرعي لشعب تنجانيقا، وطالب بإجراء انتخاب عام ومباشر قائم على مبدأ (رجل واحد صوت واحد One Man, One Vote)، وتخصيص نصف المقاعد للإفريقيين والنصف الآخر لغير ذوي الأصل الإفريقي في المجلس التشريعي، وتقديم تاريخ الحصول على الاستقلال إلى عام 1959. فلما رُفِض طلبه، استقال من المجلس التشريعي الذي كان قد عين فيه عام 1957[26].

والجدير بالذكر أن الحكومة البريطانية كانت تصر دائماً بأن الإفريقيين في تنجانيقا غير مؤهلين لهذه المطالب، وبأن البلاد مازلت لم تتهيأ بعد للحكم الذاتي الأمر الذي اضطرها إلى استقدام الأستاذ ماكينزي عام 1958، أستاذ العلوم القانونية بجامعة مانشستر، ليساعد في وضع دستور جديد للبلاد، فوضع نظاماً معقداً للانتخاب بغية حماية الأقليات (الأوروبيين والأسيويين)، فخصص عشرة مقاعد لكل من الإفريقيين والأوروبيين

والأسيويين، وكل صاحب صوت أياً كان لونه عليه أن يصوت لشخص واحد من هذه الجماعات العرقية الثلاثة[27].

وتراوح موقف نيريري بين الرفض والموافقة، وأخيراً وافق على هذا الدستور، وكان منطقه هو أنه حزب يمثل كل عناصر الأمة وأن نشاطه يشمل كل البلاد وأنه يستند إلى تأييد اتحاد النقابات العمالية بالأغلبية. ورغم القاعدة الانتخابية الضيقة ووجود المرشحين الأسيويين والأوروبيين، فإن الكل أيد جوليوس نيريري وحزبه، واستطاع الحصول على شعبية منقطعة النظير[28] فاستحال على السلطات الاستعمارية البريطانية إنكار أن الحزب هو لسان حال شعب تنجانيقا بكل طوائفه.

وبإيجاز، فإن حزب الاتحاد الوطنى الإفريقى لتنجانيقا (TANU) بقيادة جوليوسنيريري، أصبح نموذجاً للأحزاب الوطنية الجماهيرية في القارة الإفريقية في نضالها السياسى والتحرري ضد الاستعمار الأوروبى الإمبريالى، خصوصا إذا ما علمنا أن نيريري في هذه الفترة دعا كل الأفارقة إلى الإيمان بتراثهم الثقافي المشترك، كما أن شعاراته كانت تدعوا إلى الوحدة والحرية وإلى بناء الشخصية الإفريقية وتوكيدها في الصرح العالمى[29].

ومع نهاية سنة 1958، دعا نيريري إلى عقد مؤتمراً إقليمى في محافظة موانزا، وحضرته كل الأحزاب السياسية لدول شرق ووسط إفريقيا، وأسفر عن إنشاء "حركة الحرية الإفريقية لشرق إفريقيا ووسطها" Pan-African Freedom Movement of East and Central Africa[30] وتم اختيار جوليوسنيريري رئيساً (سبتمبر 1959) وأصدر هذا لها، وعقدت الحركة أول مؤتمر لها في تنجانيقا المؤتمر قرارات هامة تدعو- ضمن أمور أخرى - إلى إطلاق سراح جوموكنياتا زعيم حزب الاتحاد الوطني الإفريقى لكينيا (KANU)، ومقاطعة بضائع حكومة جنوب إفريقيا العنصرية، وتنظيم حركات سياسية إقليمية فعالة بهدف مواجهة الاستعمار البريطاني بجبهة موحدة[31].

وأمام التطورات السياسية الداخلية والضغوط الخارجية الدولية، أدركت الحكومة البريطانية أنه لابد من إزالة الحواجز أمام التمثيل الديمقراطي في تنجانيقا. فأعلنت عن إصدار دستور جديد للبلاد بعد عام واحد من صدور الدستور السابق. وعليه، وطبقاً لهذا الدستور الجديد حدث توسع في قيد الناخبين في جداول الانتخابات، ويتألف المجلس التشريعي من 71 عضو بالانتخاب، وتسعة أعضاء معينين، بشرط أن توزع المقاعد المنتخبة على أساس 50 مقعد للإفريقيين و11 مقعد للأسيويين و10 مقاعد للأوروبيين[32].

وعملاً بهذا الدستور، أجريت في أوت 1960 انتخابات المجلس التشريعي، وفاز حزب (TANU) بقيادة جوليوس نيريريا لأغلبية إذ حصل مرشحوه على 70 مقعد في المجلس من المقاعد المنتخبة، وأصبح نيريري الوزير الأول. وفي ديسمبر 1961 حصلت البلاد على الاستقلال وأصبح نيريري رئيساً للوزراء لكنه لم يمكثفي هذا المنصب طويلاً وتركه ليتفرغ لتنظيم حزبه وتفعيل دوره السياسي. وفي ديسمبر سنة 1962، أنتخب نيريري رئيساً للبلاد، وفي الفاتح من جانفي 1963، قرر رسمياً اعتماد سياسة الحزب الواحد.[33]

- المحور الثالث : الوحدة السياسية مع زنجبار وتأسيس جمهورية تنزانيا المتحدة

أصبحت زنجبار وهى جزيرة تقع في مقابل ساحل تنجانيقا محمية بريطانية رسميا في نوفمبر 1890[34]، وان كانت المعاهدة لأنجلو- ألمانية لتعيين الحدود، المؤرخة أول نوفمبر 1886، قد وضعت جزيرة زنجبار والأراضى التابعة لها في ساحل إفريقيا الشرقي داخل منطقة النفوذ البريطانية.[35] وقد قَسَّمت المعاهدة بذلك الإمبراطورية العمانية العربية تقسيما فعليا ابتداء من هذا التاريخ.

والجدير بالذكر أن تطور الأحداث في الأقاليم الداخلية الثلاثة (تنجانيقا، كينيا وأوغندا) غطى على أحداث زنجبار الجزيرة الصغيرة الواقعة في المحيط الهندي والتي لم يتجاوز عدد سكانها مع مطلع خمسينات القرن العشرين 300 ألف نسمة. غير أن هبوب رياح القومية الإفريقية المناهضة للامبريالية الأوروبية، والنشاط الكبير للحركات الوطنية التحررية في الدول

المجاورة بعد الحرب العالمية الثانية، خاصة تنجانيقا المجاورة، جعل الحركة الوطنية في زنجبار تنتفض وتعبر عن المطالب الشعبية المتمثلة في استرجاع السيادة الوطنية. وفي هذا السياق، نذكر الجهود التي قام بها جوليوسنيريري عندما توجه عدة مرات في سنة 1956 إلى جزيرة زنجبار لتقريب وجهات النظر بين قادة الأحزاب السياسية التي كانت تستعد لأول انتخابات تشريعية في البلاد وقد نجح في إحداث التفاهم بينهما، وقاد أخيراً إلى تشكيل حزب الاتحاد الإفروشيرازي Afro-ShiraziParty برئاسة عبيد أماني كرومي، والذي تمكن من تحقيق الاستقلال عن بريطانيا في ديسمبر 1963[36].

وفي 26 أفريل 1964، تم إعلان الاتحاد بين تنجانيقا وجارتها (جزيرة زنجبار)، فصدر دستور الاتحاد، وتوحد البلدين في دولة واحدة سميت بجمهورية تنزانيا المتحدة وانتخب جوليوس نيريري رئيساً لها وعبيد أماني كرومي رئيس زنجبار نائباً للرئيس، وفي هذا السياق، أعلن نيريري في كلمته أمامالبرلمان بأن فكرة الاتحاد بين تنجانيقا وزنجبار منبثقة من فكرة الوحدة الإفريقية وأنها لن تحبط الرغبة في اتحاد فيدرالي لدول شرق إفريقيا.[37] وكان رد الفعل الإفريقي مشجعا ومرحبا بالاتحاد ومتطلعا إلى نتائجه في جميع المجالات.

واختارت الدولة الجديدة، نظام الحزب الواحد، وكان تقريبا هذا هو النظام الذي اختارته معظم الدول الحديثة الاستقلال. وفي تصور نيريري أن تنزانيا لا تحتاج إلى نظام تعدد الأحزاب بقدر ما تحتاج إلى تنشيط واسع للتكوين الديمقراطي في إطار الحزب الواحد الذي يضمن أقصى قدر من الاستقرار والوحدة والسلام والأمن، فضلا عن تقديمه درجة مقبولة من مستوى المعيشة المادي للغالبية العظمى من السكان، وفي الوقت نفسه يحافظ على العدالة والحرية والحق في إبداء الرأي في القرارات التى تؤثر في حياة المواطنين. كما دعت حكومة الاتحاد بقيادة نيريري إلى ضرورة نشر الوعي الاشتراكي بين المواطنين، وتنظيم وتوزيع الإنتاج العام والفردي وأن الأرض هي ملك للشعب ولذلك يجب على الحكومة أن تعود إلى العادات البدائية الإفريقية في ملكية الأراضي[38].

ومما تجدر الإشارة إليه، أن الاشتراكية بالنسبة لنيريري كانت تعنى تنمية الثورة وإصلاح التعليم والرعاية الصحية ورفع مستوى المعيشة للجماهيرالشعبية. وكان هذا يعنى أن الاهتمام يحب أن يتوجه إلى الأكثر فقرا، وهم سكان المناطق الريفية. وقد رأى أنه لا يستطيع أن يستأصل الفقر من بلده المتخلف الواسع الأرجاء بواسطة الوسائل الرأسمالية التقليدية، ولا هو مستعد لأن يضع بلده تحت سيطرة الشمولية السوفيتية، ومن ثم نظر في طريق ثالث يرتكز أساسا على المزارع الريفى، فابتدع مفهوما جديدا وهو الاوجاما Ujama أو الاشتراكية الإفريقية[39].

ظل نيريري يحتفظ برئاسة الجمهورية بفضل التأييد الشعبى الذي كان يحظىبه، وبالرغم من محاولات التآمر الخارجى للإطاحة به، إلا أنه كان يقظاً وحازماً في مواجهتها. وعنى خلال سنوات حكمه لتنزانيا بتحسين الأوضاع المعيشية لأبناء شعبه، ورفع مستوي التعليم بينهم، وتوفير الرعاية الصحية والاجتماعية للجميع، وكما كان نيريري رجل إصلاح داخلى كان أحد كبار الدعاة للوحدة الأفريقية، وأحد مؤسسى منظمة الوحدة الأفريقية (ماي 1963)، وفي مؤتمرها التأسيسى بأديس أبابا قال : "إننا نؤمن بهذه الوحدة إيماننا بإفريقيا ذاتها".[40] كان نيريريغيوراً على كرامة وشرف الأفارقة، ومدافعاً عن قضاياهم في كل المحافل الدولية، وظل يمارس عمله بهمة وإخلاص، حتى عام 1985، حيث تخلى طواعية وبإرادته عن منصب رئاسة الجمهورية التنزانية، وفي الرابع عشر من أكتوبر عام 1999، توفى عن عمر ناهز 77عاماً، بعد مسيرة حافلة بالعطاء والتضحية والإنجاز والصمود، في مواجهة التحديات الداخلية والخارجية لبلاده تنزانيا وقارته إفريقيا.

- الخاتمة :

والنتيجة التي يمكن الوصول إليها، في نهاية الأمر، أن الرئيس التنزاني السابق جوليوس نيريري، يعد أحد أبرز زعماء الاستقلال الوطني والتنمية الشعبية في إفريقيا، وأحد القادة الأفارقة في القرن العشرين الذين قادوا معركة تحرير قارتهم من الاستعمار الامبريالي والعنصرية، ومهدوا الطريق لبنائها ولم شملها تحت راية منظمة الوحدة الإفريقية. كما استطاع أن يقود أكبر دولة في شرق إفريقيا، وأنجز وحدة وطنية في تنزانيا، بالرغم من وجود ما يبلغ 120 قبيلة، تعيش عيشة بدائية ومنعزلة بعضها عن بعض لغوياً واجتماعيا استطاع نيريري أن يربط بينهم وجعلهم شعباً متلاحماً يشكل واحداً من أقوى الأمم في الساحل الشرقي للقارة الإفريقية. واليوم فإن الشعب التنزاني يتكلم لغة واحدة هي "السواحيلية" وتندر فيه التوترات الإثنية والعشائرية والعرقية التي تعم القارة الإفريقية، وذلك بفضل روح الأخوة التي أشاعها نيريري، وظل مسؤولاً عن أسطورة الوحدة والاستقرار والتنمية في بلاده وإفريقيا حتى بعد أن ترك الحكم في سنة 1985. كما أنه أقام وحدة بين بلده تنجانيقا وزنجبار ودمجهما في بلد واحد يحمل اسم جمهورية تنزانيا المتحدة، وتكاد تكون هذه هي الوحدة الوحيدة التي تمت في إفريقيا واتسمت بالاستمرارية، كما قام بدور الوسيط في الكثير من المنازعات والصراعات في إفريقيا.

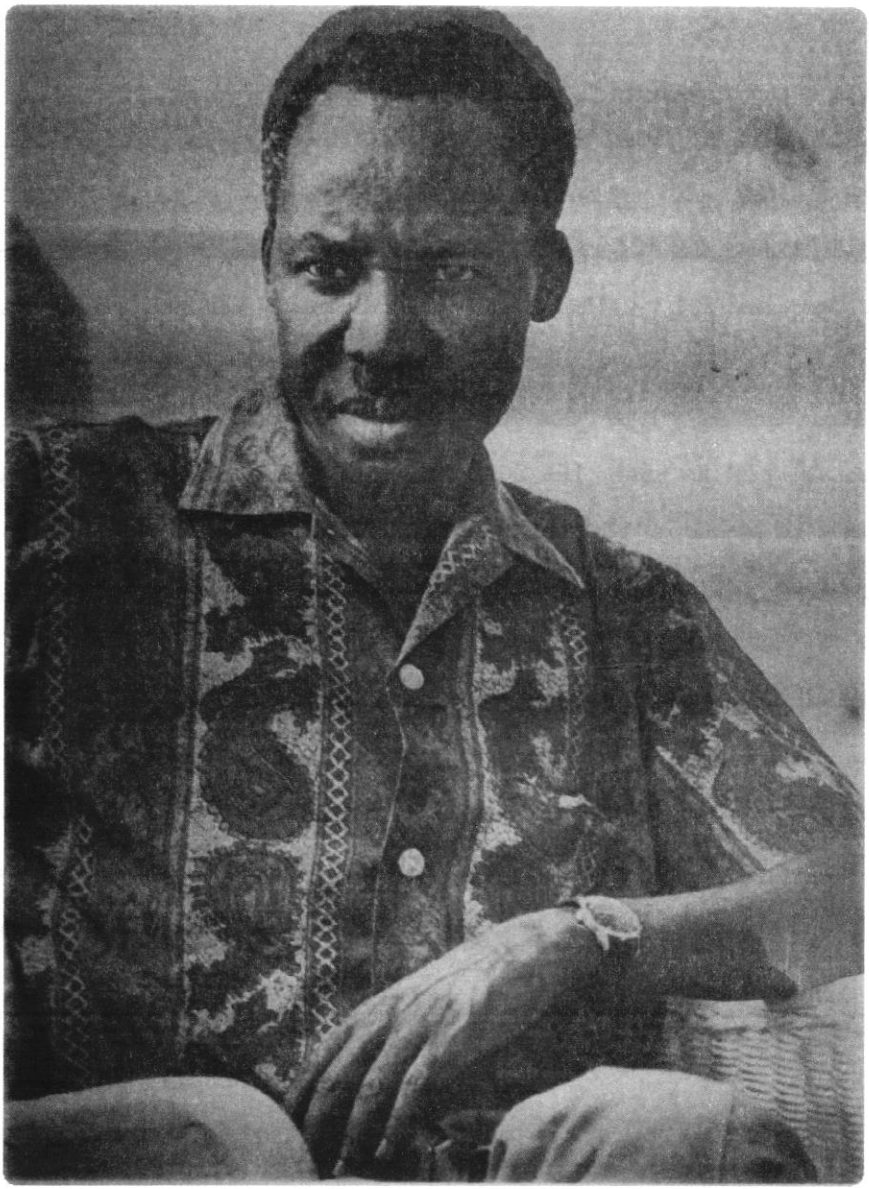

جوليوسنيريري (1922-1999)

المكافح الوطني التنزاني وأول رئيس لتنزانيا المستقلة 1962-1985

(المصدر: Nyerere, K.Julius : Freedom and unity, op, cit, p:1)

- الهوامش :

1- Listowel, J:The making of Tanganyika, Chatto and Windus, London,1965, pp. 174-175.
2-Ibid, pp. 183-185.
3-Ibid. p.185.
4-Smith, Mark: Julius Nyerere: lifelong learning and informal education, Encyclopedia of Informal Education, 1998, p. 24
5-Listowel, J. op. cit, pp. 200-206.
6- العزب موسى، عايدة: شخصيات إفريقية في الفن والسياسة، دار الشروق، الجزائر، 2009، ص62.
7-Nyerere, J: Freedom and unity, Oxford University Press, London, 1967, p.1
8 -Kimambo, N. and Temu, J:A history of Tanzania, East African Publishing House, Nairobi, 1969, p. 156.
9-Listowel, J. op. cit, p. 183.
10-Bienen, Henry: Tanzania-Party transformation and economic development, Second Edition, Princeton University Press, Newjersey,(USA) 1970, p. 29 .
11-Listowel, J: op. cit, p.223.
12- أعتبر ابتداء من هذا التاريخ أن اليوم السابع من الشهر السابع هو يوم عطلة في تنجانيقا(جمهورية تنزانيا المتحدة حاليا) إلى يومنا هذا.
13-Bienen, H. op, cit. p.21.
14- ولد كوامي نكروما في سبتمبر 1909، في محافظة نكروفل في أقصى الجنوب الغربي لغانا. سافر في عام 1953 إلى الولايات المتحدة وحصل على ماجستير في الفلسفة من جامعة بنسلفانيا، ثم على درجة الدكتوراه في الاقتصاد من بريطانيا العظمى. عاد إلى بلده مع نهاية عام 1947 ليؤسس مع مجموعة من المحاربين والضباط الذين شاركوا في الحرب العالمية الثانية حزب المؤتمر الشعبي الذي قاد البلاد إلى الاستقلال. وقد حصلت غانا على الحكم الذاتي في عام 1954، ثم الاستقلال في إطار الكومنولث في مارس 1957، وأصبح نكروما أول رئيس لجمهورية غانا المستقلة.
15-Bustin, E: La Décentralisation administrative et l'évolution des structures politiques en Afrique orientale Britannique, Faculté de Droit de Liège, Londres.1958, p. 575.
16 -Carter, M. (ed) : African one-party states,Cornell University Press, New York, 1962. pp. 421-422.
17- تنتشر في شرق إفريقيا ويتكلمها أكثر من أربعين مليونا(40) من البشر، ويمتد نطاق انتشارها إلى جمهورية الصومال وكينيا وأوغندا وتنزانيا والموزمبيق وشرقي الكونغو(كينشاسا) وجزر القمر وشمالي ملاوي وتتكلمها كذلك أقسام صغيرة في زامبيا. وأصل الكلمة يأتي من اللغة العربية للتعبير عن أصل نشأة اللغة على الساحل أو السواحل. وتنقسم آراء العلماء والباحثين بشأن تاريخ اللغة، فيرى البعض أن أصلها يرجع إلى شعب يسمى السواحلي عاش في فترة الحكم الشيرازي (975بعد الميلاد) فيما بين مدينة كيلوا وباجاميو. ويرى البعض الآخر أنها نشأت في منطقة لامو ثم امتدت بعد ذلك جنوباً، وفي منطقهم أن المهاجرين العرب تزوجوا من الأفريقيات واستعملوا كلمات عربية وكلمات من لغات البانتو للحديث اليومي مع زوجاتهم وأولادهم، ومن ثم ظهرت السواحيلية من هذا الخليط اللغوي. ويرى فريق آخر أن هذه اللغة هي خليط من اللغات العربية والفارسية ولغات أوروبية أخرى. ويرى فريق من الباحثين في جامعة دار السلام أن أصل اللغة أقدم من هذه الآراء جميعاً فقد نشأت على ألسنة الأفريقيين الذين عاشوا في كينيا وتنجانيقا زنجبار أثناء رحلاتهم ومبادلاتهم التجارية عبر المحيط الهندي، وان اللغة تداولت على ألسنهم قبل وصول العرب والإغريق والبرتغاليين. انظر للمزيد /

Whiteley, H: Swahili: The national language of Tanzania, in Erik, Svendsen and Teisen, M: self-reliant Tanzania, Tanzania Publishing House, Tanzania, 1969. pp: 111-112.

18- تجدر الإشارة هنا أن تنجانيقا كانت تخضع لنظام الانتداب البريطاني الذي فرضته عصبة الأمم عليها عام 1920، وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية وظهور هيئة الأمم المتحدة ، أصبحت البلاد تحت نظام الوصاية البريطانية، تحت مراقبة مجلس الوصاية الدولي الذي يتبع هيئة الأمم المتحدة.

19-Gunther, J: L'Autre Afrique, Librairie Gallimard, Paris, 1958.p.148.

20- Basehart, H.: Traditional history and political change among the Matengo of Tanzania, Journal of international African institute, Vol. XLII, No.2, (April 1972) London , p: 96.

21-Listowel, J. op. cit, pp. 264-267.

22-Smirnov, S.R (ed): A history of Africa 1918-1967, Nauka Publishing, House, Moscow, (URSS) 1968.p. 360.

23-Taylor, C: The political development of Tanganyika, Stanford University Press, California, 1963.p.151.

24-Kaya, Hassan: Electoral violence- political stability and the union in Tanzania, African Journal on Conflict Resolution, No.4, February 2004. p.164.

25- تم الإعلان عن تأسيس هذا الحزب تحت تسمية حزب إتحاد تنجانيقا United Tanganyika Party يوم 17 فيفري 1956 في العاصمة دار السلام.

26 -Nyerere, J. op. cit, pp :48-51.

27-Listowel, J:The making of Tanganyika, Chatto and Windus, London,1965, pp. 174-175.

28-Bienen, H. op. cit, p. 51.

29-Encyclopédie Universelis, Vol.1, 2002, p. 490.

30- بعد عام 1959 حين بدأ الزعماء السياسيين الوطنيين من جنوب إفريقيا ينظمون إلى حركة (PAFMECA)، أصبح اسمها الرسمي "حركة الحرية الإفريقية لشرق ووسط وجنوب إفريقيا"(PAFMECSA).

31 -Nyerere, J. op. cit, pp. 69-70.

32-Taylor, C.op. cit, pp. 182-183.

33 -Ibid, p. 200 .

34- خضعت جزيرة زنجبار للحكم العربي الإسلامي بداية من القرن الخامس عشر، وفي عام 1937 قام السيد سعيد بن سلطان، سلطان عمان بنقل عاصمته من عمان إلى زنجبار، وعلى هذا الأساس أصبحت كل المناطق المطلة علة المحيط الهندي في شرق إفريقيا تحت حكم سلاطين عمان، الذين يعود لهم الفضل في نشر الثقافة العربية الإسلامية في شرق إفريقيا. وعندما دخلت ألمانيا في مجال التنافس الاستعماري في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، تم تقسيم أملاك سلاطين عمان، فأعلنت بريطانيا العظمى عن حمايتها لجزيرة زنجباريوم 04نوفمبر 1890. أما المناطق الواقعة بين نهر روفوما Rovuma جنوباً ومناطق النفوذ البريطانية شمالاً أصبحت تعرف بشرق إفريقيا الألمانية German East Africa (تنجانيقا لاحقا).

35-Robinson, Ronald (ed) : Africa and the Victorians, Macmillan Press Ltd, London, 1961, pp : 290-291.

36-Ayany, Samuel:History of Zanzibar- A study in constitutional development, East African Literature Bureau, Dar es salaam, 1964, p:49.

37- Ibid.

38-Nyerere, J. op. cit, pp. 69-70.

39- شرح نيريري معنى الأوجاما بأنها تعني باللغة السواحيلية "الأسرية"، أي علاقات الأسرة ذات الجذور العميقة في التقاليد الإفريقية، وبناء الأمة يعني بناء الجماعة بواسطة الروح الأسرية التقليدية. ومفهوم الأسرية يتضمن ثلاث خصائص أساسية : المساواة والتعاون، والعمل. فالأوجاما لا تعترف بالطبقات، سواء كان التقسيم الطبقي معتمداً على ملكية وسائل الإنتاج أو على العلاقات العنصرية، ولكنها تؤكد معنى المساواة الإنسانية، وهي تتطور من خلال جماعية الإنتاج وتمجيد العمل، وتدين الكسل. وهي تعارض الاشتراكية بمفهومها السائد الذي ينشد بناء المجتمع على أساس فلسفي يرى حتمية الصراع بين الإنسان والإنسان. راجع للمزيد /

-Nyerere, J:Socialism and rural development, Oxford University Press, Oxford, 1968.

40-Nyerere, J : Freedom and unity, op, cit, p.215.